وقلنا من بعده اي للاغراق لبني اسرائيل الذين كانوا اتخذه بيده اذ زمن العبيد
لتقواهم واحسانهم اسكنوا الارض اي التيه اراد ان يستفزكم منها فاذا
جا اي مجيئا محققا وعد الاخرة اي القيمة بعد ان سكنتم الارض احيا ثم
فيها امواتا جئنا اي جا الناس العظمة والقدرة بكم منها لفيفا اي بعثناكم
واياهم مختلطين للحكم للحد على آخر ولا دفع لاحد عن آخر على غير الحالة
التي كانت في الدنيا ثم ميزنا بعضكم عن بعض ثم عطف سبحانه وتعالى على
قوله تعالى ولقد صرفنا قوله تعالى وبالحق اي من المعاني الثابتة التي
لا مرية فيها لا بغيره انزلناه عن آي القرآن فهو ثابت لا يزول كما ان
الباطل هو الذاهب الزائل وهذا القرآن الكريم مشتمل على اشيا لا تزول
وذلك لانه مشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى
تعظيم الملائكة وتقرير نبوة الانبيا واثبات الحشر والنشر والقيمة وكل
ذلك مما لا يقبل الزوال ولتشتمل ايضا على شي بعد باقية لا تتطرق اليها
التغير والتغيير والتحريف وايضا هذا القرآن تكفل الله تعالى بحفظه
عن تحريف الزايغين وتبديل الجاهلين كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون وبالحق لا بغيره نزل هو ووصل الحق على لسانك بعد
انزاله عليك كما انزلنا سواء غضا طريا محفوظا لم يطرأ عليه طارئ
فليس فيه من تحريف ولا تبديل كما وقع في كتاب اليهود الذين سالهم
من مكة ثم قال تعالى وما ارسلناك يا افضل الخلق بما لنا من العظمة
الا مبشرا للمطيع ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار
لا ما يقترحونه عليك من المعجزات فان قبلوا الدين الحق انتفعوا به
والا فليس عليك من كفرهم شي ثم ان الله تعالى اجرى الحكمة في انزال
القرآن مفرقا بقوله تعالى وقرآنا اي وفصلنا او وانزلنا قرآنا فرقناه
اي انزلناه منجما في اوقات متطاولة قال سعيد بن جبير نزل القرآن كله

ليلة

٢٨٨

ليلة القدر من السما العليا الى السما السفلى ثم فصل في السنين التي نزل
فيها قال قتادة كان بين اوله واخره عشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون
سنة والمعنى قطعناه اية اية وسورة سورة ولم ينزل جملة لتقراه على
الناس عامة على مكث اي مهل وتؤدة ليفهموه ونزلناه من عندنا
بما لنا من العظمة تنزيلا بعضه اثر بعض مفرقا بحسب الوقايع لانه اتقن
في حفظها واعون على الفهم لطول التامل لما نزل منجما في مدة ما بين
النجمين لقرآن ما فيه من المعاني ثم ان الله تعالى هددهم على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قل لهولاء المضلين امنوا به اي القرآن
او لا تومنوا فالايمان به غير محتاج اليكم ولا موقوف عليكم لكن ان امنتم
به كان الحظ لكم والا فالضرر الا انفسكم فاختاروا ما تريدون فان ايمانكم
بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم منه لا يورثه نقصانا وقوله تعالى ان
الذين اوتوا العلم من قبله اي من قبل انزاله ممن امن به من بني اسرائيل
تعليل له اي ان لم تومنوا به فانتم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منكم هو
وافضل وهم العلما الذين قروا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرايع قد امنوا
به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم اذا يتلى عليهم
اي القرآن يخرون للاذقان منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد
الله بن سلام قال الزجاج الذقن مجمع اللحيين وكما يبتدئ الانسان بالخرور
الى السجود فاقرب الاشيا من وجهه الى الارض الذقن وقيل المراد الاذقان
كناية عن اللحا والانسان اذا بالغ عند السجود في الخشوع والخضوع
ربما مسح لحيته على التراب فان اللحية يبالغ في تنظيفها فاذا عفرها
الانسان بالتراب في معرض المبالغة فقد اتى بغاية التعظيم وقيل ان
الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى ربما سقط على الارض
في معرض السجود كالمغشي عليه فيكون خروره على الذقن فقوله

Copyright © King Saud University